

السِّيرَةُ النَّبَوِيَّةُ

الْحَلْقَةُ ٥

عَامُ الْحُزْنِ

حِصَارُ بَنِي هَاشِمٍ، وَوَفَاةُ أَبِي طَالِبٍ وَخَدِيجَةَ، وَالرِّحْلَةُ إِلَى الطَّائِفِ فِي ضَوْءِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَالْحَدِيثِ الصَّحِيحِ

Hj Che Alim Hj Che Haron
AK (Kelantan)
quranscience.my

© ٢٠٢٦ م / ١٤٤٨ هـ Hj Che Alim Hj Che Haron AK (Kelantan) • @QuranScienceMY • quranscience.my
هذا الكتاب الإلكتروني مجاني للمسلمين — يمنع بيعه.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

السِّيرَةُ النَّبَوِيَّةُ

الْحَلْقَةُ ٥

عَامُ الْحُزْنِ

حِصَارُ بَنِي هَاشِمٍ، وَوَفَاةُ أَبِي طَالِبٍ وَخَدِيجَةَ، وَالرِّحْلَةُ إِلَى الطَّائِفِ فِي ضَوْءِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَالْحَدِيثِ الصَّحِيحِ

فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا

سورة الشرح (٩٤): ٥

HJ CHE ALIM HJ CHE HARON

quranscience.my | @QuranScienceMY

© ٢٠٢٦ م / ١٤٤٨ هـ quranscience.my — كتاب إلكتروني مجاني. يُمنع بيعه.

شكر وإهداء

الحمد لله الذي جعل مع كلّ عسرٍ يسرًا. والصلاة والسلام على سيّدنا ونبيّنا محمد ﷺ، الذي صبر حين حوصر وفارقه أحبّته وطُرد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أُهدي هذا الكتاب خاصّةً إلى زوجتي الحبيبة،

زهرة محمد لطيف؛

وإلى أبنائي وبناتي الأحبّة،

محمد حافظ، نور هزواني، عبد الحكيم، نور هداية، نور عاقلة ونور عتيقة؛

وإلى أصهاري وكنّاتي،

فضيلة، مالك، حنين، فيريزال وفيروان.

تتبع هذه الحلقة الخامسة من «السيرة النبوية» أشدَّ السنوات على رسول الله ﷺ في مكة: الحصار في شِعب أبي طالب، ووفاة أبي طالب وخديجة، والرحلة إلى الطائف. أسأل الله أن يجعل صبره دواءً للقلوب المبتلاة، وأن يجعل هذا العلم عِلْمًا يُنْتَفَعُ بِهِ.

عن غلاف هذا الكتاب

لا يصوّر غلافُ هذا الكتاب أيَّ إنسان، بل يعرض **طريقًا صخريًّا في جبال الطائف عند الغروب**: دربًا هادئًا متعرّجًا بين التلال الصخرية، و**بستانَ عنبٍ** أخضرَ عند سفح الجبل، و**سحابةً** تُظلّ الطريق في ضوء الشمس الغاربة.

يرمز الطريق الهادئ إلى رحلة رسول الله ﷺ إلى الطائف في عام الحزن، ويذكّر البستان بالمكان الذي استظلّ فيه، وتذكّر السحابة بالسحابة التي أظلّته في قرن الثعالب (صحيح البخاري ٣٢٣١).

الشريط الأزرق الداكن في الأسفل، المؤطَّر ب**خطوطٍ ذهبيةٍ رفيعة**، هو موضع اسم المؤلف.

المحتويات

عَامُ الْحُزْنِ — مقدّمة
١. حين استنفدت قريش وسائلها — الخلفيّة
٢. الميثاق في خَيْف بني كِنانة — صحيح البخاري ١٥٩٠
٣. ثلاث سنين في شِعب أبي طالب — من كتب السيرة
٤. العون في الخفاء — من كتب السيرة
٥. الخمسة الذين نقضوا الصحيفة — من كتب السيرة
٦. قصّة الصحيفة التي أكلتها الأَرَضة — تقييم الرواية
٧. دروس من الحصار — جدول الدروس
٨. وفاة خديجة — من كتب السيرة
٩. أبو طالب في ساعته الأخيرة — صحيح البخاري ٣٨٨٤
١٠. «إنّك لا تهدي من أحببت» — القصص ٢٨: ٥٦
١١. منزلة أبي طالب — صحيح البخاري ٣٨٨٣
١٢. عام الحزن — رسم الركيزتين
١٣. سودة بنت زمعة — من كتب السيرة
١٤. إلى الطائف — خريطة مكة – الطائف
١٥. رفض بني ثقيف — من كتب السيرة
١٦. في بستان عتبة وشيبة — من كتب السيرة
١٧. دعاء الطائف: تقييم — تقييم الرواية
١٨. أشدّ الأيّام — صحيح البخاري ٣٢٣١
١٩. الجنّ يستمعون القرآن — الأحقاف ٤٦: ٢٩–٣٠
٢٠. العودة في جوار المطعم — صحيح البخاري ٣١٣٩
٢١. إنّ مع العسر يسرا — الشرح ٩٤: ٥–٦
٢٢. بين الرواية الصحيحة والقصّة المشهورة — تقويم الروايات
٢٣. أماكن مهمّة في هذه الحلقة — من شعب أبي طالب إلى الطائف
٢٤. الطائف وبنو ثقيف — مدينةٌ فوق الجبال
٢٥. آثار التاريخ: الطائف ومكة في السجلّات التاريخية — نقش سنة ٥٨هـ والحَجون
٢٦. الأعلام في هذه الحلقة — جدول الأعلام
٢٧. خطّ زمني: السيرة والعالم — جدول أحداث ٦١٧–٦٢٢م
٢٨. أسئلة شائعة — اثنا عشر سؤالًا
٢٩. الدروس والخاتمة
المراجع
الدعم والتبرّع

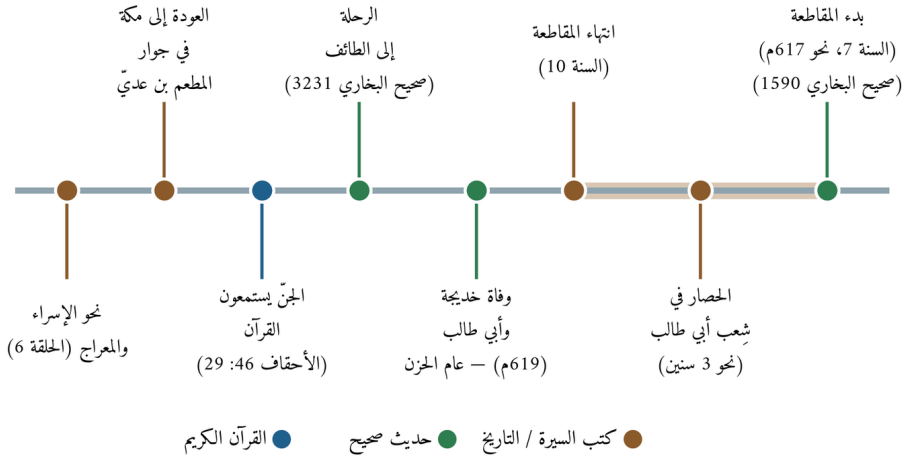
دليل الألوان: الإطار الأخضر = آية من القرآن الكريم؛ الإطار الذهبي = حديث؛ الإطار البنّي = من كتب السيرة؛ الجدول الأزرق = مقارنة. أسماء الرواة المسطّرة بالأزرق روابط إلى صفحاتهم في موقع sunnah.com.

عَامُ الْحُزْنِ

انتهت الحلقة الرابعة من «السيرة النبوية» بإسلام حمزة وعمر، وبالصحابة الآمنين في ظلّ النجاشي. لكنّ أشدّ البلاء على رسول الله ﷺ وأهله في مكة كان قد بدأ لتوّه. يروي هذا الكتاب الخامس **حصارًا دام ثلاث سنين**، ووفاةَ أكثر اثنين حمايةً له ونصرةً — **أبي طالب وخديجة** — **والرحلةَ إلى الطائف** التي انتهت بالحجارة والدماء، لكنّها انتهت أيضًا بدعاءٍ مليءٍ بالرحمة.

اختيرت آيات القرآن الكريم والأحاديث الصحيحة في هذا الكتاب بعناية — فلم يُذكر إلّا ما له صلةٌ حقيقية بالموضوع — أمّا القصص المأخوذة من كتب السيرة فوُضعت في مربّعات «من كتب السيرة» مع بيان درجتها. وقد نُبّه بوضوح على بعض القصص والأدعية المشهورة جدًّا مع ضعف أسانيدها.

خطٌّ زمنيّ: من المقاطعة إلى الطائف (نحو 617–620م)



المواضع على المحور ترتيبٌ تقريبي، وفي تاريخ بعض الأحداث وترتيبها خلاف.

الشكل ١: خطٌّ زمنيّ من الحصار حتى الطائف.

ملاحظة: الآيات القرآنية في هذا الكتاب بالنصّ العربي مع روابطها. وتُذكر درجة كلّ حديث في إطاره. وما ورد في كتب السيرة وُضع في الإطار البنّي «من كتب السيرة»، وأُرفقت الوقائع التاريخية بروابط مصادرها.

حين استنفدت قريش وسائلها

مع اقتراب السنة السابعة من البعثة كانت قريش قد جرّبت كلّ وسيلةٍ تقريبًا: السخرية، والاتّهام، والتفاوض، وعروض المساومة، والتعذيب (الحلقة ٤). ومع ذلك ظلّ الإسلام ينتشر؛ فقد أسلم حمزة وعمر، وعاش الصحابة في الحبشة آمنين في حماية ملكٍ عادل.

وكانت أكبر عقبةٍ أمام قريش **حمايةَ بني هاشم**. فما دام أبو طالب، سيّدُ بني هاشم، يأبى أن يُسلم ابن أخيه، لم يكن في وسعهم قتله دون أن يُشعلوا حربًا أهليةً بين بطون قريش.

عوائق قريش	السبب
الحماية القَبَلية	أبو طالب وبنو هاشم يحمونه، ومنهم من لم يُسلم بعد.
حكم الثأر	قتلُ فردٍ من قبيلةٍ يعني الحرب مع القبيلة كلّها.
الإسلام يقوى	آمن رجالٌ ذوو شأنٍ مثل حمزة وعمر.
فشل الدبلوماسية	عاد رسولا قريش من الحبشة خاليَي الوفاض.

فاختارت قريش سلاحًا جديدًا لا يسفك الدم لكنّه شديد الإيلام: **المقاطعةَ الشاملة** لبني هاشم وبني المطّلب جميعًا — مسلمِهم وغيرِ مسلمهم.

الدرس: إذا أخفق العنف لجأ أعداء الحقّ كثيرًا إلى **الضغط الاقتصاديّ والاجتماعيّ**. وما زال هذا السلاح مستعملًا إلى اليوم.

الميثاق في خَيْف بني كِنانة

خُتمت المقاطعة بميثاقٍ مكتوب. وبعد سنين طويلة، في حجّة الوداع، كان رسول الله ﷺ ما يزال يذكر المكان الذي كُتب فيه ذلك الميثاق:

حديث — صحيح البخاري، رقم ١٥٩٠

حَدَّثَنَا الْحُمَيْدِيُّ، حَدَّثَنَا الْوَلِيدُ، حَدَّثَنَا الأَوْزَاعِيُّ، قَالَ حَدَّثَنِي الزُّهْرِيُّ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ـ رضى الله عنه ـ قَالَ قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم مِنَ الْغَدِ يَوْمَ النَّحْرِ وَهُوَ بِمِنًى «نَحْنُ نَازِلُونَ غَدًا بِخَيْفِ بَنِي كِنَانَةَ حَيْثُ تَقَاسَمُوا عَلَى الْكُفْرِ». يَعْنِي ذَلِكَ الْمُحَصَّبَ، وَذَلِكَ أَنَّ قُرَيْشًا وَكِنَانَةَ تَحَالَفَتْ عَلَى بَنِي هَاشِمٍ وَبَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، أَوْ بَنِي الْمُطَّلِبِ أَنْ لاَ يُنَاكِحُوهُمْ، وَلاَ يُبَايِعُوهُمْ حَتَّى يُسْلِمُوا إِلَيْهِمُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم. وَقَالَ سَلاَمَةُ عَنْ عُقَيْلٍ وَيَحْيَى بْنُ الضَّحَّاكِ عَنِ الأَوْزَاعِيِّ أَخْبَرَنِي ابْنُ شِهَابٍ وَقَالاَ بَنِي هَاشِمٍ وَبَنِي الْمُطَّلِبِ. قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بَنِي الْمُطَّلِبِ أَشْبَهُ.

السند: رواه الإمام البخاري: عن الحميدي، عن الوليد بن مسلم، عن الأوزاعي، عن الزهري، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة رضى الله عنه. وتابعه سلامة عن عُقيل، ويحيى بن الضحّاك عن الأوزاعي، عن ابن شهاب.

التخريج: رواه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب الحجّ، باب نزول النبيّ ﷺ مكة (منزل النبيّ ﷺ بمكة)، حديث رقم ١٥٩٠. ورواه مسلم أيضًا (رقم ١٣١٤).

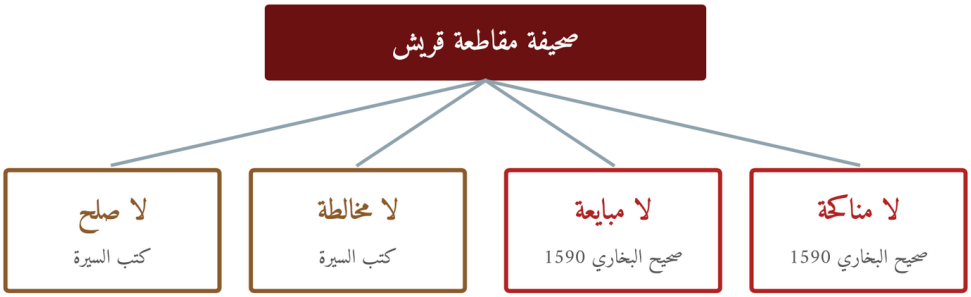
الدرجة: صحيح — أخرجه البخاري في صحيحه، أصحّ الكتب بعد القرآن الكريم بإجماع أهل الحديث.

المصدر: https://sunnah.com/bukhari:1590

دروسٌ من هذا الحديث

هذا الحديث **دليلٌ صحيح** على المقاطعة، ويبيّن شرطيها الرئيسين: **لا مناكحة ولا مبايعة**، حتى يُسلم بنو هاشم رسولَ الله ﷺ. والغاية واضحة: إكراه أهله على التخلّي عن حمايته.

شروط المقاطعة



«...حتى يُسلموا إليهم النبيَّ ﷺ»

المستهدَفون: بنو هاشم وبنو المطّلب — مسلمهم وكافرهم — إلّا أبا لهب.

الشكل ٢: شروط مقاطعة قريش.

العودة إلى المكان نفسه

بيّن العلماء حكمة نزوله **بالمُحَصَّب** – حيث تقاسمت قريش على الكفر – حين رجع قائدًا منتصرًا: **شكرًا لنعمة الله** وإظهارًا لظهور الإسلام في المكان الذي شهد الظلم عليه.

المُحَصَّب في الحجّ

المُحَصَّب (ويُسمّى الأبطح أيضًا) وادٍ بين منى ومكة. نزل به رسول الله ﷺ بعد أيّام منى في حجّة الوداع. غير أنّ عائشة رضى الله عنها بيّنت أنّ النزول بالأبطح **ليس بسُنّة** من سنن الحجّ، وإنّما نزله لأنّه كان أسمح لخروجه من مكة (صحيح البخاري ١٧٦٥).

وهذا يدلّ على دقّة الصحابة في التمييز بين **العبادة** التي يجب اتّباعها، **والفعل العاديّ** من رسول الله ﷺ المرتبط بظروف الحال – وهو أصلٌ مهمّ في فهم السنّة.

الدرس: إنّ الله **يقلب الأحوال**. فالمكان الذي شهد الظلم بالأمس صار شاهدًا على النصر.

ثلاث سنين في شِعب أبي طالب

من كتب السيرة: الحياة في الوادي المحاصَر

تذكر كتب السيرة (ابن إسحاق) أنّ المقاطعة بدأت في **المحرّم من السنة السابعة للبعثة** (نحو ٦١٧م). فانحاز بنو هاشم وبنو المطّلب — مسلمهم وغير مسلمهم — إلى **شِعب أبي طالب**، وهو وادٍ ضيّق في طرف مكة. ولم يخرج عنهم إلى قريش إلّا **أبو لهب**.

ويُذكر أنّ الصحيفة عُلّقت في جوف الكعبة. ودام الحصار **نحو ثلاث سنين**. وكان الطعام عسيرًا جدًّا، وتذكر كتب السيرة أنّ بكاء الصبيان من الجوع كان يُسمع من خارج الشِّعب، وأنّ بعضهم اضطرّ إلى أكل ورق الشجر.

المرجع:

ويكيبيديا، «Abu Talib ibn Abd al-Muttalib». https://en.wikipedia.org/wiki/Abu_Talib_ibn_Abd_al-Muttalib

وفاءٌ يتجاوز الدين

ومن العجيب أنّ كثيرًا من بني هاشم الذين **لم يكونوا قد أسلموا** اختاروا أن يتحمّلوا البلاء مع رسول الله ﷺ، وفاءً للأهل ولأبي طالب. فأبوا أن يُسلموه مع شدّة الجوع.

وقد شاركهم رسول الله ﷺ وخديجة رضى الله عنها هذه الشدّة. وأنفقت خديجة، التي كانت تاجرةً غنيّة، ما بقي من مالها على أهلها والصحابة في الشِّعب.

وماذا عن سائر الصحابة؟

أمّا الصحابة من غير بني هاشم، مثل أبي بكر رضى الله عنه، فلم يدخلوا الشِّعب، لكنّهم لقوا ضغطًا شديدًا. روت عائشة رضى الله عنها أنّ أبا بكر خرج مهاجرًا نحو الحبشة، فلقيه **ابن الدَّغِنة**، سيّد القارة، فقال: «إنّ مثلك لا يَخرج ولا يُخرَج»، وردّه في جواره (صحيح البخاري ٣٩٠٥).

وقد وصف ابن الدغنة أبا بكر بكلماتٍ قريبةٍ جدًّا من كلمات خديجة لرسول الله ﷺ: تُكسب المعدوم، وتصل الرحم، وتحمل الكَلّ، وتَقري الضيف، وتعين على نوائب الحقّ. فالخلق الكريم يعترف به حتى من لم يؤمن.

الدرس: الصبر في الضيق **علامةُ إيمان.** وقد بنت سنوات الشدّة الثلاث صلابةً احتاجوا إليها بعدُ في الهجرة والغزوات.

العون في الخفاء

من كتب السيرة: حكيم بن حزام والقمح لعمّته

تروي كتب السيرة أنّ **حكيم بن حزام**، ابن أخي خديجة، كان يحمل القمح خِفيةً إلى عمّته في الشِّعب. فاعترضه أبو جهل، فتدخّل **أبو البَختري بن هشام** — وهو قرشيّ لم يرضَ بذلك الظلم — وخلّى سبيله.

ورُوي كذلك أنّ **هشام بن عمرو** كان يرسل البعير محمّلًا بالطعام إلى باب الشِّعب ليلًا. وهذه القصص من **كتب السيرة**، لا من الصحيحين.

المرجع:

ويكيبيديا، «Hakim ibn Hizam». https://en.wikipedia.org/wiki/Hakim_ibn_Hizam

ضميرٌ حيّ في مجتمعٍ جاهليّ

تُظهر هذه القصص أنّ **قريشًا لم تكن كلّها** مؤيّدةً لذلك الظلم؛ فقد بقي في بعضهم حسٌّ إنسانيّ وإن لم يؤمنوا. وقد حفظ رسول الله ﷺ فيما بعدُ معروفَ أمثال هؤلاء.

وقد أسلم حكيم بن حزام نفسه يوم فتح مكة وصار صحابيًّا. فكان إحسانه في الجاهلية بابًا إلى الهداية.

الدرس: لا تحقرنّ **المعروف الصغير** — فصُرّةُ طعامٍ لمحاصَرٍ قد تكون عملًا عظيمًا. وقدّرْ كلَّ من يعدل وإن لم يكن مسلمًا.

الخمسة الذين نقضوا الصحيفة

من كتب السيرة: التعاهد على نقض المقاطعة

يذكر ابن إسحاق أنّه بعد نحو ثلاث سنين تعاهد نفرٌ من قريش ذوو ضمائر على نقض الصحيفة، وهم: **هشام بن عمرو، وزهير بن أبي أميّة، والمطعم بن عديّ، وأبو البختري بن هشام، وزمعة بن الأسود.**

فقاموا في نادي قريش عند الكعبة وأعلنوا اعتراضهم. فاعترض أبو جهل، لكنّ صوتهم غلب، وانتهت المقاطعة نحو **السنة العاشرة من البعثة.** وتذكر ويكيبيديا المطعمَ بن عديّ أحدَ الخمسة الذين بدؤوا هذا المسعى.

المرجع:

ويكيبيديا، «Muṭʿim ibn ʿAdi». https://en.wikipedia.org/wiki/Mu%E1%B9%AD%CA%BDim_ibn_%CA%BDAdi

قوّة الصوت العادل

لم تنتهِ المقاطعة بالمعجزة وحدها، بل كذلك بفضل **نفرٍ تجرّؤوا على رفع أصواتهم** ضدّ الظلم في مجتمعهم نفسه. فاستعملوا الوسيلة المتاحة — نادي قريش — لتغيير الحال.

وهذا يذكّرنا **بحِلف الفُضول** (الحلقة ٢): ففي المجتمع الجاهليّ نفسه كان للعدل مكان. والإسلام يقدّر كلّ سعيٍ من هذا النوع.

الدرس: **السكوت** عن الظلم يُطيل المعاناة. وصوتٌ واحدٌ شجاع قد يكون بدايةَ التغيير.

قصّة الصحيفة التي أكلتها الأَرَضة

من كتب السيرة: قصّة صحيفة المقاطعة

تروي كتب السيرة أنّ رسول الله ﷺ أخبر أبا طالب أنّ الله سلّط **الأَرَضة** على الصحيفة فأكلتها إلّا ما فيها من اسم الله («باسمك اللهمّ»). فأبلغ أبو طالب قريشًا، فلمّا أُنزلت الصحيفة وجدوها كما أخبر.

رواها ابن إسحاق وغيره من أهل السيرة، لكنّها **ليست في الصحيحين**، وإسنادها **غير متّصل (مرسل)**. وهي مشهورة في كتب السيرة وقبلها كثيرٌ من كتّابها، لكنّها لا ترقى إلى درجة الحديث الصحيح.

كيف نتعامل مع مثل هذه القصّة

البند	الموقف
المقاطعة وشروطها	صحيح (صحيح البخاري ١٥٩٠).
نقض الخمسة للصحيفة	رواية كتب السيرة؛ مقبولةٌ عمومًا.
أكل الأرضة للصحيفة	رواية مرسلة في كتب السيرة؛ يجوز ذكرها مع بيان درجتها.

يفرّق علماء الحديث بين القصّة التاريخية التي تُروى في السيرة، **والحديث الذي يُحتجّ به** في العقيدة والأحكام. وهذه القصّة من النوع الأوّل.

دروس من الحصار

ترك حصار شِعب أبي طالب دروسًا كثيرة تصلح لكلّ جيل:

العبرة	التفاصيل
الصبر الجماعيّ	تحمّلت الأسرة والصحابة البلاء معًا.
الاقتصاد سلاحًا	استعمل أعداء الحقّ حصار الطعام والتجارة.
وفاء الأسرة	بنو هاشم الذين لم يُسلموا ظلّوا يحمونه.
دور أصحاب الضمائر	خمسة من قريش نقضوا الظلم.
بذل المال	أنفقت خديجة مالها على الأهل والصحابة.
النصر بعد البلاء	مكان القسم على الكفر صار منزلًا للنبيّ المنتصر.

المقاطعة في زماننا

ما يزال المسلمون في بعض الأماكن يواجهون **حصارًا اقتصاديًّا** وتطويقًا. والسيرة تعلّمنا الصبر والتعاون، وتقدير كلّ من يجرؤ على نصرة المظلومين، مسلمًا كان أو غير مسلم.

الدرس الأكبر: **لا ظلم يدوم.** فالمقاطعة التي بدت بلا نهاية انهارت بعد ثلاث سنين.

وفاة خديجة

من كتب السيرة: وفاة أوّل أمّهات المؤمنين

تذكر ويكيبيديا أنّ **خديجة بنت خويلد** رضى الله عنها توفّيت سنة **٦١٩م** وهي في نحو **الخامسة والستّين** من عمرها، بعد انتهاء المقاطعة بقليل. وقد كانت زوجًا لرسول الله ﷺ **خمسًا وعشرين سنة** — الزوجةَ الوحيدة له طوال تلك المدّة. وكان عمره يومئذٍ قريبًا من الخمسين.

ويُعتقد أنّ شدّة الحصار أثّرت في صحّتها. ودُفنت **بالحَجون**، مقبرة مكة المعروفة اليوم بجنّة المعلاة.

المرجع:

ويكيبيديا، «Year of Sorrow». https://en.wikipedia.org/wiki/Year_of_Sorrow

ويكيبيديا، «Khadija bint Khuwaylid». https://en.wikipedia.org/wiki/Khadija_bint_Khuwaylid

ويؤكّد الحديث الصحيح تاريخها على وجه الإجمال: قال عروة بن الزبير إنّ خديجة توفّيت **قبل ثلاث سنين** من هجرة النبيّ ﷺ إلى المدينة (صحيح البخاري ٣٨٩٦).

ذكرى لا تبهت

تناولت الحلقتان ٢ و٣ منزلة خديجة: أوّل من آمن، والمطمئنة له ليلة الوحي الأوّل، والمرأة التي أقرأها الله السلام عن طريق جبريل (صحيح البخاري ٣٨٢٠). وبعد وفاتها بسنين ظلّ يذكرها ويُكرم صديقاتها (صحيح البخاري ٣٨١٨).

فضل خديجة في الحديث الصحيح

روى عليّ رضى الله عنه أنّ رسول الله ﷺ قال: «**خيرُ نسائها مريمُ بنت عمران، وخيرُ نسائها خديجة**» (صحيح البخاري ٣٤٣٢).

الفضيلة	المصدر
أوّل من آمن	كتب السيرة (الحلقة ٣)
طمأنته ليلة الوحي الأوّل	صحيح البخاري ٣
أقرأها الله السلام وبُشّرت ببيتٍ في الجنّة	صحيح البخاري ٣٨٢٠
خير نساء زمانها	صحيح البخاري ٣٤٣٢
أمّ أولاده كلّهم إلّا إبراهيم	كتب السيرة (الحلقة ٢)

الدرس: **الوفاء** للزوج لا ينتهي بالموت. فالدعاء له، وذكر محاسنه، وإكرام أهله وأصحابه بعد رحيله من سنّة رسول الله ﷺ.

أبو طالب في ساعته الأخيرة

بعد انتهاء المقاطعة بقليل مرض **أبو طالب** — العمّ الذي ربّاه وحماه أكثر من أربعين سنة — مرضًا شديدًا. فجاءه رسول الله ﷺ بأملٍ أخير:

حديث — صحيح البخاري، رقم ٣٨٨٤

حَدَّثَنَا مَحْمُودٌ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنِ ابْنِ الْمُسَيَّبِ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّ أَبَا طَالِبٍ، لَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ دَخَلَ عَلَيْهِ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم وَعِنْدَهُ أَبُو جَهْلٍ فَقَالَ «أَىْ عَمِّ، قُلْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ. كَلِمَةً أُحَاجُّ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللَّهِ». فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ يَا أَبَا طَالِبٍ، تَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فَلَمْ يَزَالاَ يُكَلِّمَانِهِ حَتَّى قَالَ آخِرَ شَىْءٍ كَلَّمَهُمْ بِهِ عَلَى مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ. فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم «لأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ مَا لَمْ أُنْهَ عَنْهُ». فَنَزَلَتْ {مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ} وَنَزَلَتْ {إِنَّكَ لاَ تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ}

السند: رواه الإمام البخاري: عن محمود بن غيلان، عن عبد الرزّاق، عن معمر، عن الزهري، عن سعيد بن المسيّب، عن أبيه، المسيّب بن حزن رضى الله عنه.

التخريج: رواه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب مناقب الأنصار، باب قصّة أبي طالب، حديث رقم ٣٨٨٤. ورواه مسلم أيضًا (رقم ٢٤).

الدرجة: صحيح — أخرجه البخاري في صحيحه، أصحّ الكتب بعد القرآن الكريم بإجماع أهل الحديث.

المصدر: https://sunnah.com/bukhari:3884

دروسٌ من هذا الحديث

حديثٌ يمسّ القلب. لم يطلب رسول الله ﷺ أمرًا شاقًّا — بل **كلمةً واحدة**، ووعد أن يحاجّ لعمّه بها عند الله. لكنّ **ضغط الرفاق والاعتزاز بدين الآباء** منعا أبا طالب من قولها.

زيارة القريب غير المسلم

زار رسول الله ﷺ **عمَّه المريض** وإن لم يؤمن، وحرص عليه إلى آخر لحظة. وقد عاد كذلك غلامًا يهوديًّا مريضًا ودعاه إلى الإسلام (صحيح البخاري ١٣٥٦).

وهذا يدلّ على أنّ **صلة الرحم** و**عيادة المريض** لا تقتصر على المسلمين. بل قد تكون الزيارة نفسها ألطفَ أبواب الدعوة.

وانظر من كان عند أبي طالب في ساعته الأخيرة: **أبو جهل**. فجليس السوء قد يصدّ المرء عن الخير حتى في آخر لحظات حياته.

الدرس: **كلمة التوحيد** مفتاح النجاة، و**أثر الرفيق** عظيم جدًّا. فاختر أصحابًا يذكّرونك بالله، ولا سيّما في أهمّ اللحظات.

«إنّك لا تهدي من أحببت»

اشتدّ حزن رسول الله ﷺ على موت عمّه على الكفر. فأنزل الله آيةً تواسيه وتعلّم أصلًا عقديًّا مهمًّا:

سورة القصص (٢٨): ٥٦

إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ٥٦

المصدر: quran.com/28:56

شرح الآية ٢٨: ٥٦

قال الله تعالى: «**إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ**». وذكر ابن كثير أنّ الآية نزلت في **أبي طالب** كما في الصحيحين، وبيّن أنّ وظيفة الرسول **البلاغ**، أمّا الهداية **فلله وحده**. تفسير ابن كثير ٢٨: ٥٦.

نوعا الهداية

النوع	التفاصيل
هداية الإرشاد	بيان الطريق؛ وهي وظيفة الرسول والداعية (الشورى ٤٢: ٥٢).
هداية التوفيق	شرح القلب للقبول؛ وهي لله وحده (القصص ٢٨: ٥٦).

في هذه الآية سكينةٌ لكلّ والدٍ وزوجٍ وداعيةٍ بذل جهده ثمّ رأى من يحبّ لا يقبل الحقّ. **علينا السعي**؛ والنتيجة بيد الله.

ومع هذه الآية نزل كذلك النهي عن الاستغفار للمشركين بعد أن يتبيّن أنّهم أصحاب الجحيم (التوبة ٩: ١١٣)، كما في الحديث نفسه.

منزلة أبي طالب

سأل العبّاس بن عبد المطّلب رضى الله عنه رسولَ الله ﷺ: «ما أغنيتَ عن عمّك، فإنّه كان يحوطك ويغضب لك؟» قال: «**هو في ضَحضاحٍ من نار، ولولا أنا لكان في الدَّرَك الأسفل من النار**» (صحيح البخاري ٣٨٨٣).

وفي حديثٍ آخر أنّ أبا طالب **أهونُ أهل النار عذابًا** (صحيح مسلم ٢١٢). وهذا يدلّ على أنّ نصرته لرسول الله ﷺ **لم تضِع**، لكنّها بغير إيمانٍ لا تبلغ به النجاة التامّة.

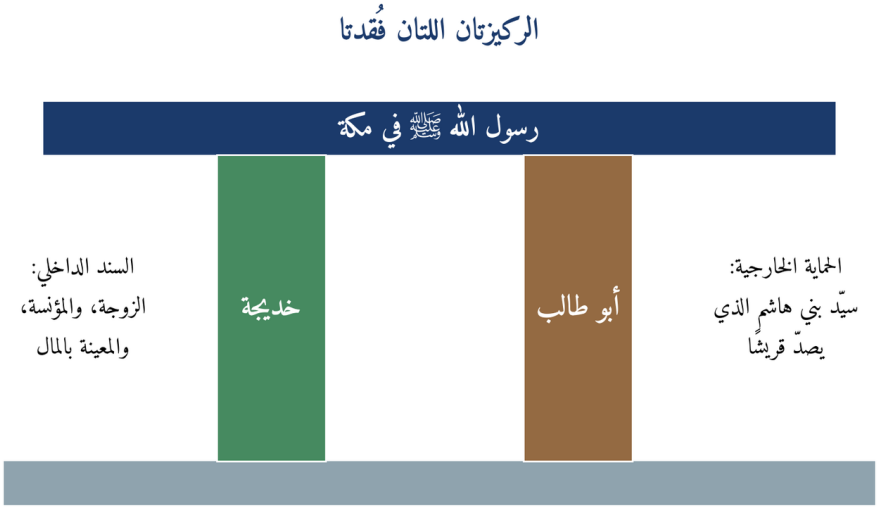
أدب الحديث عن أبي طالب

أبو طالب رجلٌ **له فضلٌ عظيم** على الإسلام. فنذكر فضله باحترام، ولا نذمّه، ونتمسّك في الوقت نفسه بالحديث الصحيح في شأنه. ولا تعارض بين الموقفين.

الدرس: **العمل الصالح بلا إيمان** لا يكفي للنجاة في الآخرة. فالإيمان هو الأساس الذي يجعل لكلّ خيرٍ قيمته الكاملة عند الله.

عام الحزن

في عامٍ واحد — السنة العاشرة من البعثة، نحو **٦١٩م** — فقد رسول الله ﷺ كليهما. **وترتيب وفاتهما** مختلفٌ فيه في كتب السيرة: فتذكر ويكيبيديا أنّ خديجة توفّيت أوّلًا ثمّ أبو طالب، وتذكر مصادر أخرى العكس.



الشكل ٣: الركيزتان اللتان فُقدتا في عام الحزن.

وعُرف هذا العام بعدُ **بعام الحزن، عام الأحزان.** كان أبو طالب **الحمايةَ من الخارج**، وكانت خديجة **السندَ من الداخل.** ففقدُهما معًا تركه في أشدّ حالات الانكشاف.

الأثر في الدعوة

تذكر كتب السيرة أنّ قريشًا اجترأت عليه بعد موت أبي طالب — حتى نثر بعضهم التراب على رأسه. وصارت رئاسة بني هاشم إلى أبي لهب، عدوّه نفسه.

في هذا الحال قرّر أن يطلب **النصرة خارج مكة** — وكانت الطائف وجهته الأولى.

السنّة في مواجهة الحزن

علّم رسول الله ﷺ الحزنَ المتوازن. فحين مات ابنه إبراهيم بعد سنين بكى وقال: «**إنّ العين تدمع، والقلب يحزن، ولا نقول إلّا ما يُرضي ربَّنا**» صحيح البخاري ١٣٠٣.

المشروع	المنهيّ عنه
البكاء والحزن	النياحة والصياح
ذكر محاسن الميّت	الكلام الذي يتسخّط القدر
الدعاء له والصدقة عنه	إيذاء النفس أو شقّ الثياب حزنًا

الدرس: الحزن فطرةٌ بشرية، وقد حزن رسول الله ﷺ نفسه. لكنّ الحزن **لم يُوقفه** عن مواصلة السعي.

سودة بنت زمعة

من كتب السيرة: الزوجة بعد خديجة

تذكر كتب السيرة وويكيبيديا أنّ رسول الله ﷺ تزوّج بعد وفاة خديجة **سودةَ بنت زمعة** رضى الله عنها في مكة. وكانت أرملة: هاجر معها زوجها **السكران بن عمرو** إلى الحبشة ثمّ توفّي.

وكانت سودة من السابقين إلى الإسلام، وتحمّلت مشقّة الهجرة. فكان هذا الزواج **رعايةً** لأرملةٍ مهاجرة، **وتدبيرًا للبيت** لأولاده الذين فقدوا أمّهم.

المرجع:

ويكيبيديا، «Sawda bint Zamʿa». https://en.wikipedia.org/wiki/Sawda_bint_Zam'a

حكمة هذا الزواج

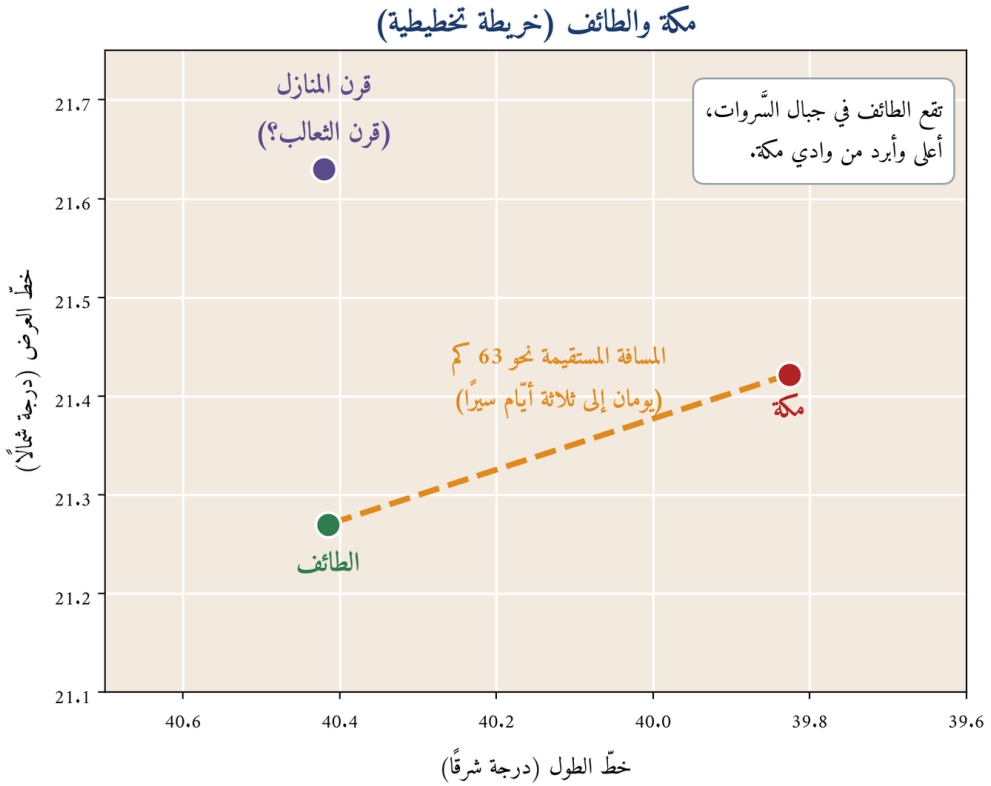
يدلّ زواج رسول الله ﷺ بسودة على أنّ لزواجه **مقاصد إنسانيةً ودعوية**: كفالة أرامل الصحابة الذين استُشهدوا أو ماتوا، ورعاية الأسرة.

وقد أثنى الحديث الصحيح على سودة: قالت عائشة رضى الله عنها إنّها ما رأت امرأةً أحبَّ إليها أن تكون في مِسلاخها من سودة، وإنّ سودة وهبت يومها لعائشة (صحيح مسلم ١٤٦٣).

الدرس: الإسلام يُكرم **الأرامل والأيتام**. ورعايتهم سنّة رسول الله ﷺ.

إلى الطائف

الطائف ثاني أهمّ مدن الحجاز، تسكنها قبيلة **ثقيف**. تقع في منطقةٍ جبلية أبرد وأخصب من مكة، واشتهرت ببساتينها. وكان رسول الله ﷺ يرجو أن يقبل أهلها الإسلام وأن يحموه.



إحداثيات تقريبية. عيّن بعض العلماء قرن الثعالب بقرن المنازل. المصدر: ويكيبيديا، «Taif».

الشكل ٤: موقع مكة والطائف (خريطة تخطيطية).

من كتب السيرة: الرحلة مع زيد

تذكر ويكيبيديا أنّ الرحلة إلى الطائف كانت سنة **٦١٩م**، وأنّ المسافة نحو **يومين أو ثلاثة أيّام سيرًا** من مكة. وتذكر كتب السيرة (ابن سعد) أنّه صحبه **زيد بن حارثة**، وأنّه سار ماشيًا.

وذكر المباركفوري في «الرحيق المختوم» أنّه أقام بالطائف **نحو عشرة أيّام** يأتي سيّدًا بعد سيّد.

المرجع:

ويكيبيديا، «Muhammad's visit to Ta'if». https://en.wikipedia.org/wiki/Muhammad%27s_visit_to_Ta%27if

لماذا الطائف؟

العامل	التفاصيل
ثاني أهمّ المدن	بعد مكة كانت الطائف مركز القوّة والاقتصاد في الحجاز.
قبيلةٌ قويّة	كانت ثقيف قادرةً على الحماية كما كان بنو هاشم.
صلات القرابة	تذكر كتب السيرة أنّ له صلات رضاعٍ وقرابة بقبائل حول الطائف.
منافسة قريش	كانت ثقيف تنافس قريشًا في التجارة والنفوذ.

لاحظ أنّه **لم ييأس** بانسداد مكة وحدها، بل **طلب طريقًا آخر**. وهذا قدوةٌ عند الطريق المسدود: لا تتوقّف، وابحث عن بابٍ آخر.

الدرس: الدعوة تحتاج إلى **المبادرة والشجاعة**. فقد سار وهو يقارب الخمسين ماشيًا عبر الجبال ليبلّغ الرسالة.

رفض بني ثقيف

من كتب السيرة: سادة ثقيف الثلاثة

تذكر ويكيبيديا أنّه أتى ثلاثة إخوةٍ من سادة **بني ثقيف** :**عبد يا ليل**، **ومسعود**، **وحبيب**. فردّوه ردًّا قبيحًا. ويذكر الحديث الصحيح اسم **ابن عبد يا ليل بن عبد كُلال** بوصفه من عرض عليه نفسه (صحيح البخاري ٣٢٣١).

ثمّ أغرى أهل الطائف سفهاءهم وعبيدهم **فطردوه ورجموه بالحجارة** حتى دميت قدماه ويداه. وتذكر كتب السيرة أنّ زيدًا كان يقيه بنفسه حتى شُجّ رأسه.

المرجع:

ويكيبيديا، «Muhammad's visit to Ta'if». https://en.wikipedia.org/wiki/Muhammad%27s_visit_to_Ta%27if

أشدّ الرفض إيلامًا

في مكة كان ما يزال يُحترم لنسبه مع شدّة العداوة. أمّا في الطائف فكان **غريبًا** بلا حامٍ. ولم يكن ردّ ثقيف بالكلام وحده، بل **بالإهانة والعنف** أمام الناس.

وطلب منهم كذلك أن **يكتموا** لقاءه حتى لا تجترئ قريش، فأبوا (كتب السيرة). فرحلةٌ بدأت بالأمل انتهت بالجراح.

الطائف بعد عشر سنين

تذكر كتب السيرة أنّه **في السنة التاسعة للهجرة** قدم وفد ثقيف المدينة فأسلموا. فالمدينة التي رجمته بالحجارة أرسلت أخيرًا وفدها ليبايع. وبعد وفاة رسول الله ﷺ، حين ارتدّت قبائل كثيرة، تذكر كتب التاريخ أنّ ثقيفًا **ثبتت** على الإسلام.

الدرس: **الإخفاق الظاهر** لا يعني أنّ السعي ضاع. فكما سنرى، ادّخر الله ثمرته لوقتٍ آخر — فقد أسلمت الطائف بعد نحو عشر سنين.

في بستان عتبة وشيبة

من كتب السيرة: عدّاس وقِطْفُ العنب

تذكر ويكيبيديا وكتب السيرة أنّه لجأ إلى **بستانٍ لعتبة وشيبة ابنَي ربيعة**، وهما من سادة قريش رقّا لحاله. فأمرا غلامهما النصرانيّ **عدّاسًا** من **نينوى** أن يحمل إليه قِطفًا من العنب.

فبدأ الأكل بقوله: «**باسم الله**». فتعجّب عدّاس لأنّ أهل تلك البلاد لا يقولونها. فلمّا علم أنّ عدّاسًا من نينوى قال إنّ **يونس** عَلَيْهِ السَّلَامُ أخوه، نبيٌّ مثله. فأكبّ عدّاس يقبّل رأسه ويديه وقدميه.

المرجع:

ويكيبيديا، «Muhammad's visit to Ta'if». https://en.wikipedia.org/wiki/Muhammad%27s_visit_to_Ta%27if

رواها ابن إسحاق بغير إسنادٍ متّصل؛ وهي **ليست في الصحيحين**. لكنّ معناها موافقٌ لما عُرف من أخلاقه.

شعاعٌ في الظلمة

في أشدّ الأيّام ظلمةً قيّض الله **غلامًا غريبًا** يُجلّه. وهو يدمى، ظلّ **يدعو** — يصل عدّاسًا بالأنبياء من قبله. فلا لحظة أشدّ من أن يُبلَّغ فيها الخير.

الدرس: **وحدة رسالة الأنبياء** جسرٌ للدعوة إلى أهل الكتاب. فيونس وموسى وعيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ إخوة نبيّنا محمد ﷺ في رسالة التوحيد.

دعاء الطائف: تقييمٌ

من كتب السيرة: دعاءٌ مشهورٌ جدًّا

يعرف كثيرون الدعاء الذي يُقال إنّه دعا به في البستان: «**اللهمّ إليك أشكو ضعف قوّتي، وقلّة حيلتي، وهواني على الناس...**» إلى «**...إن لم يكن بك عليّ غضبٌ فلا أبالي**».

رواه ابن إسحاق بغير إسناد، ورواه الطبراني بإسنادٍ حكم عليه **بالضعف** علماءُ الحديث مثل الألباني، لوجود راوٍ مجهول.

كيف نتعامل معه؟

البند	الموقف
نسبته إليه على سبيل الجزم	لا يجوز؛ إسناده ضعيف.
معناه	حسنٌ موافقٌ للقرآن والسنّة: الشكوى إلى الله وحده.
الدعاء بألفاظٍ مشابهة	جائزٌ دعاءً عامًّا، من غير ادّعاء أنّه من قول النبيّ ﷺ.
الدعاء الصحيح	قدِّم الأدعية الواردة في القرآن والحديث الصحيح.

أمّا الثابت الصحيح فهو ما حدّث به هو نفسه عائشةَ عن ذلك اليوم — كما في الباب التالي. وفي تلك الرواية الصحيحة كفايةٌ في بيان عمق حزنه وسعة رحمته.

أشدّ الأيّام

بعد سنين، عقب غزوة أحد – التي جُرح فيها واستُشهد حمزة – سألته عائشة رضى الله عنها هل مرّ به يومٌ أشدّ من يوم أحد. فأشار جوابه إلى **الطائف**:

حديث – صحيح البخاري، رقم ٣٢٣١

حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يُوسُفَ، أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ، قَالَ أَخْبَرَنِي يُونُسُ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، قَالَ حَدَّثَنِي عُرْوَةُ، أَنَّ عَائِشَةَ ـ رضى الله عنها ـ زَوْجَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم حَدَّثَتْهُ أَنَّهَا قَالَتْ لِلنَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم هَلْ أَتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمِ أُحُدٍ قَالَ «لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكِ مَا لَقِيتُ، وَكَانَ أَشَدُّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ الْعَقَبَةِ، إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيلَ بْنِ عَبْدِ كُلاَلٍ، فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَى مَا أَرَدْتُ، فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِي، فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلاَّ وَأَنَا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي، فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي، فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جِبْرِيلُ فَنَادَانِي فَقَالَ إِنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ، وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الْجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ، فَنَادَانِي مَلَكُ الْجِبَالِ، فَسَلَّمَ عَلَيَّ ثُمَّ قَالَ يَا مُحَمَّدُ، فَقَالَ ذَلِكَ فِيمَا شِئْتَ، إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيْهِمِ الأَخْشَبَيْنِ، فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلاَبِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ لاَ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا».

السند: رواه الإمام البخاري: عن عبد الله بن يوسف، عن ابن وهب، عن يونس بن يزيد، عن ابن شهاب الزهري، عن عروة بن الزبير، عن عائشة رضى الله عنها.

التخريج: رواه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب بدء الخلق، حديث رقم ٣٢٣١. ورواه مسلم أيضًا (رقم ١٧٩٥).

الدرجة: صحيح – أخرجه البخاري في صحيحه، أصحّ الكتب بعد القرآن الكريم بإجماع أهل الحديث.

المصدر: https://sunnah.com/bukhari:3231

دروسٌ من هذا الحديث

تأمّل: **رجلٌ رُجم بالحجارة وأُهين للتوّ**، يُعرض عليه أن يُهلك أهل تلك البلدة جميعًا. لكنّه اختار **الرجاء**: أن يُخرج الله من أصلابهم من يعبد الله.

الخيار المعروض	اختياره
الانتقام	العفو
إهلاك الجيل الحاضر	الرجاء في الجيل القادم
إظهار القوّة	إظهار الرحمة

وقد استُجيب رجاؤه، فأسلم أهل الطائف في **السنة التاسعة للهجرة**، وخرج من ثقيف رجالٌ من أعلام الإسلام. والأخشبان المذكوران في الحديث **جبلان عظيمان** يحيطان بمكة.

«اللهمّ اغفر لقومي»

قال ابن مسعود رضى الله عنه: كأنّي أنظر إلى رسول الله ﷺ يحكي نبيًّا من الأنبياء ضربه قومه فأدموه، وهو يمسح الدم عن وجهه ويقول: «**اللهمّ اغفر لقومي فإنّهم لا يعلمون**» صحيح البخاري ٣٤٧٧.

ويبيّن العلماء أنّ خلق هؤلاء الأنبياء هو خلق رسول الله ﷺ نفسه. وحادثة الطائف تُظهره بوضوح: رفض عرضَ الإهلاك واختار الرجاء.

الدرس: هذا هو معنى «**رحمةً للعالمين**» (الأنبياء ٢١: ١٠٧). فالداعية لا يدعو بهلاك الناس، بل بهدايتهم.

© ٢٠٢٦ م / ١٤٤٨ هـ جميع الحقوق محفوظة — Hj Che Alim Hj Che Haron — مجاني للمسلمين

الجنّ يستمعون القرآن

تروي كتب السيرة أنّه في طريق عودته من الطائف نزل **بوادي نخلة** وقام يصلّي من الليل، فاستمع نفرٌ من الجنّ إلى قراءته. وقد سجّل الله استماع الجنّ للقرآن في هذه الآية:

سورة الأحقاف (٤٦): ٢٩-٣٠

وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓاْ أَنصِتُواْۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْاْ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾

قَالُواْ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾

المصدر: quran.com/46:29-30

شرح الآيتين ٤٦: ٢٩-٣٠

نقل ابن كثير رواية ابن إسحاق أنّ ذلك كان عند منصرفه من الطائف. وذكر كذلك الرواية الصحيحة عن ابن عبّاس رضى الله عنهما أنّ الجنّ استمعوا قراءته بنخلة وهو يصلّي الصبح بأصحابه في طريقهم إلى سوق عكاظ (صحيح البخاري ٧٧٣). **والوقت الحقيقيّ** لهذه الحادثة مختلفٌ فيه.

وأيًّا كان وقتها، ففي الآية رسالةٌ شديدة الطمأنينة: حين ردّه الناس في الطائف، استمعت **خلائق أخرى** وآمنت ورجعت إلى قومها منذِرة. فرسالته **للإنس والجنّ**.

من هم الجنّ؟

البند	الدليل
خُلقوا من مارجٍ من نار	الرحمن ٥٥: ١٥
خُلقوا لعبادة الله	الذاريات ٥١: ٥٦
منهم المؤمن ومنهم الكافر	الجنّ ٧٢: ١١، ١٤
استمعوا القرآن ودعوا قومهم	الأحقاف ٤٦: ٢٩-٣٠؛ الجنّ ٧٢: ١-٢
لا يعلمون الغيب	سبأ ٣٤: ١٤

الإيمان بالجنّ جزءٌ من الإيمان بالغيب. لكنّ الإسلام يرفض الخرافة والاستعانة بالجنّ، لأنّ العون من الله وحده (الجنّ ٧٢: ٦).

الدرس: لا تقِس نجاح الدعوة **بردّ فعل قلّةٍ من الناس**. فالله يفتح القلوب التي يشاء، وأحيانًا من حيث لا يُحتسب.

العودة في جوار المطعم

من كتب السيرة: دخول مكة في جوار

بغير حماية أبي طالب لم يكن يستطيع دخول مكة آمنًا. وتذكر ويكيبيديا أنّه أرسل زيد بن حارثة يطلب الجوار، فقبل **المطعم بن عديّ**، سيّد بني نوفل. فتسلّح المطعم وصحبه مع أبنائه وأبناء إخوته حتى دخل مكة.

وكان المطعم كذلك أحد الخمسة الذين نقضوا الصحيفة. وتوفّي سنة ٦٢٣م وهو لم يُسلم.

المرجع:

ويكيبيديا، «Muṭʿim ibn ʿAdi». https://en.wikipedia.org/wiki/Mu%E1%B9%AD%CA%BDim_ibn_%CA%BDAdi

نظام الجوار: الحماية في المجتمع العربيّ

في المجتمع العربيّ كان من لا حاميَ له يطلب **الجوار** (الحماية) من أحد السادة. ومن آذى المُجار فكأنّما آذى المُجير نفسه. وقد عاش أبو بكر كذلك في جوار ابن الدغنة (صحيح البخاري ٣٩٠٥).

استعمل رسول الله ﷺ هذا النظام القائم بحكمة، دون أن يتنازل عن عقيدته. ثمّ أبقى الإسلام قيمته الحسنة: فالمشرك الذي يستجير ليسمع كلام الله يُجار ثمّ يُبلَّغ مأمنه (التوبة ٩: ٦).

ولم ينسَ رسول الله ﷺ معروف المطعم قطّ. فبعد غزوة بدر ذكره في هذا الحديث:

حديث — صحيح البخاري، رقم ٣١٣٩

حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ مَنْصُورٍ، أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنْ أَبِيهِ ـ رضى الله عنه ـ أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ فِي أُسَارَى بَدْرٍ «لَوْ كَانَ الْمُطْعِمُ بْنُ عَدِيٍّ حَيًّا، ثُمَّ كَلَّمَنِي فِي هَؤُلاَءِ النَّتْنَى، لَتَرَكْتُهُمْ لَهُ».

السند: رواه الإمام البخاري: عن إسحاق بن منصور، عن عبد الرزّاق، عن معمر، عن الزهري، عن محمّد بن جبير، عن أبيه، جبير بن مطعم رضى الله عنه.

التخريج: رواه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب فرض الخمس، حديث رقم ٣١٣٩.

الدرجة: صحيح – أخرجه البخاري في صحيحه، أصحّ الكتب بعد القرآن الكريم بإجماع أهل الحديث.

المصدر: https://sunnah.com/bukhari:3139

دروسٌ من هذا الحديث

يدلّ هذا الحديث على **خُلُق ردّ الجميل**. فمع أنّ المطعم مات على الكفر، قدّر رسول الله ﷺ معروفه علانيةً، حتى كان مستعدًّا لإطلاق أسرى الحرب من أجله.

وراوي الحديث **جبير بن مطعم** هو ابن المطعم نفسه، وقد أسلم بعدُ. فصار إحسان الأب جزءًا من قصّةٍ يرويها ابنه.

إنّ مع العسر يسرًا

كانت سنوات المقاطعة والحزن والرفض أشدّ مراحل السيرة المكّية ظلمةً. غير أنّ القرآن المكّيّ علّم وعدًا تكرّر مرّتين:

قال الله تعالى: «**إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا**». وكُرّرت الآية مرّتين (٩٤: ٥-٦). ونقل ابن كثير قول العلماء إنّ «**العسر**» جاء **معرَّفًا** و«**اليسر**» جاء **منكَّرًا**، فدلّ على أنّ عسرًا واحدًا لن يغلب يسرين. تفسير ابن كثير ٩٤: ٥.

العسر	اليسر الذي تلاه
حصارٌ ثلاث سنين	نقضه خمسةٌ من ذوي الضمائر
فقد أبي طالب وخديجة	الإسراء والمعراج ونصرةٌ جديدة من يثرب (الحلقة ٦)
الرفض والحجارة في الطائف	الجنّ يستمعون القرآن؛ والطائف تُسلم أخيرًا
لا حماية في مكة	جوار المطعم بن عديّ

لا يأتي اليسر دائمًا فورًا، ولا دائمًا على الصورة التي نتوقّعها. لكنّ وعد الله **حقٌّ**. وسيرة هذه السنين شاهدٌ حيّ على هذه الآية.

الدعاء عند الكرب

روى ابن عبّاس رضى الله عنهما أنّ رسول الله ﷺ كان يقول عند الكرب: «**لا إله إلّا الله العظيم الحليم، لا إله إلّا الله ربّ العرش العظيم، لا إله إلّا الله ربّ السماوات وربّ الأرض وربّ العرش الكريم**» (صحيح البخاري ٦٣٤٦).

وهذا الدعاء الصحيح — بخلاف دعاء الطائف الضعيف الإسناد — يدعو به كلّ مسلمٍ مبتلًى وهو مطمئنّ.

الأنبياء قبله ابتُلوا كذلك

يقصّ القرآن المكّيّ كثيرًا من ابتلاء الأنبياء السابقين، كأنّه يسلّي رسول الله ﷺ: «وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا» (الأنعام ٦: ٣٤).

النبيّ	البلاء واليسر
نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ	كذّبه قومه زمنًا طويلًا؛ ونُجّي بالسفينة (هود ١١: ٤٠-٤٨).
إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ	أُلقي في النار، فكانت بردًا وسلامًا (الأنبياء ٢١: ٦٨-٦٩).
يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ	أُلقي في الجبّ وسُجن، ثمّ صار على خزائن مصر (يوسف ١٢: ٥٦).
موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ	طارده فرعون حتى البحر، فانفلق البحر (الشعراء ٢٦: ٦١-٦٣).
يونس عَلَيْهِ السَّلَامُ	التقمه الحوت، فنُجّي بتسبيحه (الأنبياء ٢١: ٨٧-٨٨).
أيّوب عَلَيْهِ السَّلَامُ	ابتُلي بالمرض والفقد، فكُشف ضرّه وآتاه الله أهله ومثلهم معهم (الأنبياء ٢١: ٨٣-٨٤).

الدرس: في كلّ ابتلاءٍ شخصيّ — فقدٍ أو رفضٍ أو ضيق — تذكّر أنّ **مع العسر يسرًا**، لا بعده فحسب.

بين الروايات الصحيحة والقصص المشهورة

تنتشر بين الناس قصصٌ كثيرة عن المقاطعة وعام الحزن والطائف. ويفرّق الجدول الآتي بين الصحيح، وما في كتب السيرة، والضعيف.

القصص ودرجتها

القصّة المشهورة	الدرجة
تقاسمت قريش على مقاطعة بني هاشم: لا مناكحة ولا مبايعة.	صحيح (صحيح البخاري ١٥٩٠).
دامت المقاطعة نحو ثلاث سنين في شِعب أبي طالب.	كتب السيرة؛ مقبولةٌ في الجملة.
أكلت الأرضة صحيفة المقاطعة.	رواية مرسلة في كتب السيرة.
طلب رسول الله ﷺ من أبي طالب أن يقول: لا إله إلّا الله.	صحيح (صحيح البخاري ٣٨٨٤).
نزلت الآية ٢٨: ٥٦ في أبي طالب.	صحيح (صحيح البخاري ٣٨٨٤).
توفّيت خديجة قبل الهجرة بثلاث سنين.	صحيح (صحيح البخاري ٣٨٩٦).
قصّة عدّاس والعنب.	رواية ابن إسحاق بغير إسنادٍ متّصل.
دعاء «اللهمّ إليك أشكو ضعف قوّتي...».	ضعيف عند الألباني.
ملَك الجبال يعرض أن يُطبق عليهم الأخشبين.	صحيح (صحيح البخاري ٣٢٣١).
الجنّ يستمعون القرآن بنخلة عند الرجوع من الطائف.	حادثة الجنّ بنخلة صحيحة (صحيح البخاري ٧٧٣)؛ وربطها بالطائف من كتب السيرة.
أجاره المطعم بن عديّ.	كتب السيرة؛ واعترافٌ بمعروفه في صحيح البخاري ٣١٣٩.

تأمّل

في الروايات الصحيحة عن هذه السنين كفايةٌ في تصوير **صبر رسول الله ورحمته** ﷺ. ولسنا بحاجةٍ إلى رواياتٍ ضعيفة لنبكيه ونحبّه.

أماكن مهمّة في هذه الحلقة

وقعت أحداث هذا الكتاب في أماكن غير متباعدة: وادٍ ضيّق بجوار الكعبة، ومقبرةٌ في طرف مكة، وطريقٌ جبليّ إلى الطائف. ويجمع هذا الفصل تلك الأماكن في جدولٍ واحد، ليتصوّر القارئ تنقّل رسول الله ﷺ في أصعب هذه السنين.

جدول الأماكن

المسافات في الجدول **تقريبية**. فمسافة الخطّ المستقيم محسوبةٌ من الإحداثيات الحديثة، ومسافة الطريق مأخوذةٌ من المصادر المذكورة. وكان الطريق في زمنه أشقّ وأكثر التواءً بكثير.

المكان	صلته بهذه الحلقة	الموقع / الحال اليوم
شِعب أبي طالب	الوادي الذي حوصر فيه بنو هاشم وبنو المطّلب نحو ثلاث سنين (كتب السيرة).	شرقيّ الكعبة، خلف الصفا والمروة، بين جبل أبي قبيس وجبل الخندمة. وقد دخل أكثره اليوم في المسجد الحرام.
خَيْف بني كِنانة (المحصّب / الأبطح)	حيث تقاسمت قريش على مقاطعة بني هاشم (صحيح البخاري ١٥٩٠).	وادٍ بين مكة ومنى.
الحَجون (جنّة المعلاة)	المقبرة التي دُفنت فيها خديجة رضى الله عنها بحسب كتب السيرة.	غير بعيدةٍ عن المسجد الحرام، قرب مسجد الجنّ.
الطائف	مدينة بني ثقيف التي قصدها مع زيد بن حارثة.	نحو ٦٣ كم خطًّا مستقيمًا جنوب شرق مكة؛ ونحو ٨٧ كم عبر الطريق الجبليّ السريع اليوم.
نخلة	الوادي الذي صلّى فيه واستمع الجنّ القرآن (كتب السيرة؛ صحيح البخاري ٧٧٣).	على الطريق بين مكة والطائف (الموضع الدقيق: تقريبيّ).

© ٢٠٢٦ م / ١٤٤٨ هـ جميع الحقوق محفوظة — Hj Che Alim Hj Che Haron — مجاني للمسلمين

المكان	صلته بهذه الحلقة	الموقع / الحال اليوم
قرن الثعالب	حيث «استفاق» بعد مغادرته الطائف حزينًا (صحيح البخاري ٣٢٣١).	بحسب ياقوت الحموي هو اسمٌ آخر لقرن المنازل، ميقات أهل نجد؛ ويقع نحو ٨٠ كم شمال شرق مكة.

المصدر: ويكي شيعة، «شعب أبي طالب»؛ ويكيبيديا، «Taif»؛ الموسوعة السعودية، «قرن المنازل»؛ «al-Qarn»، «Medieval Middle East»؛ «Jannat ul-Mu'alla»، «Madain Project».

شِعب أبي طالب اليوم

يقع الوادي الذي شهد سنوات المقاطعة الثلاث قريبًا جدًّا من الكعبة — خلف الصفا والمروة، عند سفح جبل أبي قبيس. ويُعرف كذلك بشِعب بني هاشم. وبحسب ويكي شيعة دخل أكثر البيوت والمواضع التاريخية في هذه المنطقة في المسجد الحرام عبر مشروعات التوسعة، ولم يبقَ معروفًا منه إلّا جزءٌ صغيرٌ باسم **سوق الليل**.

تأمّل: حجّاج اليوم ومعتمروه يسعون على بعد مئات من الأمتار فقط من المكان الذي بكى فيه صبيان بني هاشم جوعًا. وهذا القرب يذكّرنا بأنّ المقاطعة لم تقع في مكانٍ ناءٍ، بل في قلب مجتمعٍ كان يرى ويسكت.

الطريق إلى الطائف

تقع الطائف فوق جبال السراة، أعلى من مكة بكثير. واليوم تستغرق الرحلة بالسيارة أكثر من ساعةٍ بقليل عبر طريقٍ متعرّج. أمّا في زمنه فكانت تُقطع مشيًا في يومين أو ثلاثة، صعودًا وهبوطًا في أودية صخرية.

وفي طريق العودة يذكر الحديث الصحيح أنّه سار مهمومًا لا يستفيق حتى بلغ **قرن الثعالب** (صحيح البخاري ٣٢٣١). وبحسب ياقوت الحموي في «معجم البلدان» فقرن الثعالب اسمٌ آخر **لقرن المنازل** — الموضع الذي وقّته بعدُ ميقاتًا لأهل نجد. ويقع مسجد الميقات في السيل الكبير اليوم نحو ٨٠ كم شمال شرق مكة و٣٥ كم شمال الطائف.

المصدر: الموسوعة السعودية، «قرن المنازل»؛ «al-Qarn، Medieval Middle East».

العبرة

المكان الذي شهد حزن رسول الله ﷺ صار اليوم موضعًا يُحرم فيه ملايين المسلمين ويتعبّدون. فالشدّة التي تُحتمل بالصبر لا تضيع، بل يجعلها الله جزءًا من تاريخٍ يُذكر إلى آخر الزمان.

الطائف وبنو ثقيف

لماذا الطائف؟ لنفهم رجاء رسول الله ﷺ ومرارة الرفض الذي لقيه، لا بدّ أن نعرف هذه المدينة وأهلها.

مدينةٌ فوق الجبال

تذكر ويكيبيديا أنّ الطائف تقع على ارتفاع نحو **١٨٧٩ مترًا** فوق سطح البحر. ومناخها أعدل من أكثر مدن الجزيرة العربية؛ ومتوسّط الحرارة العظمى في يوليو نحو ٣٥٫٦ درجة مئوية. واشتهرت منذ القديم بغلّاتها — **العنب والرمّان والتين والعسل** — وتُلقّب اليوم «**مدينة الورد**» لزراعة الورد لصناعة العطور.

ولأهل مكة الساكنين في وادٍ «غير ذي زرع» (إبراهيم ١٤: ٣٧) كانت الطائف حديقةً فوق الجبل. وكان لكثيرٍ من كبراء قريش بساتين هناك — ومنهم عتبة وشيبة ابنا ربيعة، وفي بستانهما استظلّ بعد أن طُرد (كتب السيرة).

المصدر: ويكيبيديا، «Taif».

بنو ثقيف وسور المدينة

حكمت قبيلة **ثقيف** الطائف منذ القرن السادس الميلاديّ، وما زالت ذرّيّتها تسكن المنطقة إلى اليوم. وتذكر ويكيبيديا أنّ للمدينة سورًا بنته ثقيف — وبالسور المحيط بها يُربط اسم «الطائف». وهذه المنعة هي التي جعلت ثقيفًا واثقةً بقوّتها، وأصعبت حصار الطائف في السنة الثامنة للهجرة (سيأتي في الحلقة ٢٢).

اللات: صنم الطائف

كانت الطائف مركز عبادة **اللات**، الصنم الملقّب «ربّة الطائف». وذكر القرآن اللات مع العزّى ومناة، وأبطل اعتقاد المشركين فيها (النجم ٥٣: ١٩–٢٣).

فقبول التوحيد عند ثقيف كان يعني ترك صنمٍ كان مفخرة مدينتهم ومورد كسبها. وهذا يعيننا على فهم شدّة رفضهم. وتذكر ويكيبيديا وكتب السيرة أنّ اللات هُدمت بعد إسلام ثقيف في السنة التاسعة للهجرة.

المصدر: ويكيبيديا، «Taif».

من كتب السيرة: من الرفض إلى القبول

تظهر الطائف في السيرة ثلاث مرّات: في السنة العاشرة من البعثة جاءها وحده مع زيد فطُرد، وفي السنة الثامنة للهجرة (٦٣٠م)، بعد غزوة حنين، حاصرها جيش المسلمين ولم يفتحها، وفي السنة التاسعة للهجرة جاء وفد ثقيف نفسه إلى المدينة فأسلم.

وتذكر كتب التاريخ أنّه بعد وفاة رسول الله ﷺ، حين ارتدّت قبائل كثيرة من العرب، ثبتت ثقيف على الإسلام. فالمدينة التي كانت أشدّ رفضًا صارت من أثبت الناس على الإيمان.

العبرة

لم يكن رفض ثقيف عن عدم فهم، بل عن تعلّقٍ بالمصالح والمفاخر. فعلى الداعية أن يعرف خلفية من يدعوه — وأن يصبر، فأقسى القلوب قد تتغيّر بإذن الله.

آثار التاريخ: الطائف ومكة في السجلّات التاريخية

لم يبقَ من الآثار المادّية للسنوات التي يرويها هذا الكتاب إلّا القليل. غير أنّ منطقتي الطائف ومكة تحفظان بعض الشواهد التاريخية الثابتة. ويعرض هذا الباب اثنين منها، ويميّز بوضوح ما لا يستند إلّا إلى الرواية المتوارثة.

نقش سدّ معاوية في الطائف (٥٨هـ)

على بُعد نحو **٩٫٦ كم** من الطائف سدٌّ قديم يُعرف بـ**سدّ معاوية** (ويُسمّى أيضًا سدّ سيسد). وعلى صخرةٍ جرانيتية كبيرة عند سفح الجبل، إلى يمين واجهة السدّ، نُقش نقشٌ من ستّة أسطر بالخطّ الكوفي المنقوط، مقاسه نحو ١٣٠ × ٧٠ سم.

يذكر النقش أنّ هذا السدّ لـ**معاوية أمير المؤمنين**، بُني بإذن الله سنة **٥٨ للهجرة (٦٧٨م)**، ويُختم بالدعاء له بالمغفرة والقوّة. وقد نشره ج. ك. مايلز في *Journal of Near Eastern Studies* سنة ١٩٤٨. وبحسب «سعوديبيديا» يعدّه الباحثون **أقدمَ نقشٍ عربيٍّ مؤرَّخ بحروفٍ منقوطة** على منشأةٍ من العصر الإسلامي — وهو شاهدٌ مهمّ في تاريخ تطوّر الخطّ العربي.

المصدر: سعوديبيديا، «نقوش سدّ معاوية بن أبي سفيان»؛ Islamic Awareness، «Inscription On The Dam Built By Caliph Mu'awiya, ٥٨ AH».

ملاحظة تاريخية: ما صلته بهذه الحلقة؟

نُقش هذا النقش بعد نحو **ستّين سنة** من طرد رسول الله ﷺ من الطائف. وهو **ليس** دليلًا مباشرًا على أحداث هذا الكتاب، ولا ندّعي ذلك.

لكنّه يُظهر التحوّل العظيم الذي حدث: فالمدينة التي رمته بالحجارة صارت في غضون جيلين جزءًا من دولةٍ إسلامية تبني المرافق العامّة لرعاياها — والخطّ العربي الذي كان قليل الاستعمال صار يُنقش بإتقانٍ باسم حاكمٍ مسلم.

الحَجون: مقبرة جنّة المعلاة

دُفنت خديجة رضى الله عنها في الحَجون، مقبرة مكة القديمة المعروفة اليوم بـ**جنّة المعلاة**. وبحسب «Madain Project» تذكر الرواية المتوارثة أنّ أبا طالب وعبد المطّلب جدَّ النبيّ دُفنا هناك أيضًا. وقد هُدمت الأبنية التي كانت على القبور في هذه المقبرة سنة ١٩٢٥؛ ويحيط بالموضع اليوم سورٌ أبيض طويل، ولا تُعلَّم القبور إلّا بحجارةٍ بلا أسماء.

تنبيه: بين الرواية المحلّية والرواية الحديثية

تذكر كتب السيرة أنّ خديجة دُفنت في الحَجون. غير أنّ **الموضع الدقيق** لقبرها ولغيره من القبور في جنّة المعلاة لا يمكن الجزم به اليوم، لعدم وجود أسماء. وتعيين قبرٍ بعينه إنّما يقوم على الرواية المحلّية.

زيارة القبور سنّةٌ لتذكّر الموت والدعاء لأهلها من المسلمين. وفي الحديث الصحيح أنّ النبيّ زار قبر أمّه للاعتبار (صحيح مسلم ٩٧٦)، كما مرّ في الحلقة الأولى.

المصدر: «Madain Project، «Jannat ul-Mu'alla.

العبرة

يعيننا التاريخ الثابت على تذوّق السيرة تذوّقًا أعمق، لكن علينا أن نفرّق بأمانة بين الدليل القاطع والرواية التي لم تثبت. وليس الأهمّ أن نعرف موضع قبرٍ، بل أن نرث إيمان من دُفن فيه وتضحيته.

أعلام هذه الحلقة

يسرد الجدول الآتي أبرز الأعلام في هذا الكتاب — من حمى، ومن جهر بالحقّ، ومن رفض. ويُذكر مصدر كلّ معلومة؛ وما أُخذ من كتب السيرة يُشار إليه بـ«كتب السيرة».

الأهل والحُماة

العَلَم	دوره في هذه الحلقة	المصدر
أبو طالب بن عبد المطّلب	عمّه وحاميه؛ مات ولم ينطق بكلمة الشهادة.	صحيح البخاري ٣٨٨٤، ٣٨٨٣
خديجة بنت خُوَيلد	زوجه التي صبرت على الحصار؛ توفّيت قبل الهجرة بثلاث سنين.	صحيح البخاري ٣٨٩٦، ٣٨١٨
سودة بنت زمعة	أرملةٌ مهاجرة تزوّجها النبيّ بعد خديجة.	كتب السيرة
زيد بن حارثة	رافقه إلى الطائف وحاول أن يقيه.	كتب السيرة
حكيم بن حِزام	كان يحمل الطعام سرًّا إلى عمّته خديجة؛ وأسلم يوم فتح مكة.	كتب السيرة
أبو بكر الصدّيق	ضُيّق عليه حتى خرج مهاجرًا، ثمّ رجع في جوار ابن الدَّغِنة.	صحيح البخاري ٣٩٠٥

الخمسة الذين نقضوا الصحيفة

العَلَم	دوره في هذه الحلقة	المصدر
هشام بن عمرو	بدأ السعي لنقض الصحيفة؛ وكان يُدخل الطعام ليلًا.	كتب السيرة
زهير بن أبي أميّة	قام في نادي قريش منكرًا للمقاطعة.	كتب السيرة

العَلَم	دوره في هذه الحلقة	المصدر
المطعم بن عديّ	شارك في نقض الصحيفة، ثمّ أجار النبيّ بعد رجوعه من الطائف.	كتب السيرة، صحيح البخاري ٣١٣٩
أبو البَخْتَري بن هشام	دافع عن حكيم بن حزام أمام أبي جهل؛ وشارك في نقض الصحيفة.	كتب السيرة
زمعة بن الأسود	أحد الخمسة الذين نقضوا الصحيفة.	كتب السيرة

المعارضون

العَلَم	دوره في هذه الحلقة	المصدر
أبو جهل (عمرو بن هشام)	أيّد المقاطعة، ومنع إيصال الطعام، وعارض نقضها.	كتب السيرة
أبو لهب	الوحيد من بني هاشم الذي انحاز إلى قريش.	كتب السيرة
ابن عبد ياليل بن عبد كُلال	سيّد الطائف الذي ردّ عرض النبيّ.	صحيح البخاري ٣٢٣١
مسعود وحبيب (أخوا عبد ياليل)	من سادة ثقيف، ردّوا عليه ردًّا قبيحًا.	كتب السيرة
عتبة وشيبة ابنا ربيعة	صاحبا البستان الذي استظلّ فيه، قُتلا بعدُ يوم بدر.	كتب السيرة

العبرة

في هذه الحلقة نلقى قريبًا وفيًّا وإن لم يؤمن، وغرباءَ شجعانًا قاموا بالعدل، وزعماءَ ردّوا الحقّ باستكبار. فميزان الإنسان ليس النسب ولا المنصب، بل موقفه من الحقّ والعدل.

خطّ زمني: السيرة والعالم

يضع الجدول الآتي أحداث هذا الكتاب إلى جانب الأحداث العالمية الكبرى في الحقبة نفسها. والسنوات الميلادية تقريبية؛ إذ يختلف المؤرّخون وأهل السيرة في التاريخ الدقيق لبعض الأحداث.

السنة (تقريبًا)	في مكة والطائف	في العالم من حولها
المحرّم، السنة السابعة من البعثة (نحو ٦١٧م)	ميثاق المقاطعة في خَيف بني كنانة؛ وانتقال بني هاشم إلى شِعب أبي طالب (صحيح البخاري ١٥٩٠؛ كتب السيرة).	استمرار الحرب الرومانية–الفارسية؛ وقد استولت فارس على الشام وبيت المقدس (الحلقة الرابعة).
٦١٨م	بنو هاشم ما زالوا محاصَرين.	تأسيس سلالة تانغ في الصين.
٦١٨–٦٢١م	—	فارس تفتح مصر؛ وسقوط الإسكندرية نحو ٦١٩م.
السنة العاشرة من البعثة (نحو ٦١٩م)	نقض الصحيفة؛ ووفاة أبي طالب وخديجة — قبل الهجرة بثلاث سنين (صحيح البخاري ٣٨٩٦، ٣٨٨٤).	—
بعد خديجة	الزواج من سودة بنت زمعة (كتب السيرة).	—
شوّال، السنة العاشرة (نحو ٦١٩م)	الرحلة إلى الطائف؛ والجنّ في نخلة؛ والعودة في جوار المطعم (صحيح البخاري ٣٢٣١؛ كتب السيرة).	—
٦٢٢م	الهجرة إلى المدينة (الحلقة السابعة).	الإمبراطور هرقل يبدأ هجومه المضادّ على فارس.

المصدر: ويكيبيديا، «Byzantine–Sasanian War of ٦٠٢–٦٢٨»؛ ويكيبيديا، «Tang dynasty»؛ ويكيبيديا، «Sasanian conquest of Egypt».

ملاحظة من السيرة: أيّهما توفّي أوّلًا؟

لا يذكر الحديث الصحيح إلّا أنّ خديجة توفّيت قبل الهجرة بثلاث سنين (صحيح البخاري ٣٨٩٦)، وأنّ أبا طالب مات والنبيّ بمكة (صحيح البخاري ٣٨٨٤). واتّفقت كتب السيرة على أنّهما ماتا في عامٍ واحد، واختلفت فيمن مات أوّلًا وفي المدّة بينهما.

وكذلك تاريخ الرحلة إلى الطائف: ذكر ابن سعد أنّها في شوّال من السنة العاشرة من البعثة. ومثل هذا الخلاف لا يمسّ جوهر القصّة، ولا يلزمنا الجزم بما لم تجزم به المصادر الصحيحة.

حين فقد رسول الله ﷺ نصيريه الكبيرين وطُرد من الطائف، كان العالم يشهد زحف فارس تفتح ولايات الروم واحدةً بعد أخرى، وفي الشرق الأقصى كانت سلالةٌ جديدة تنهض في الصين. ولم يكن أحدٌ يظنّ أنّ الرجل العائد ماشيًا من الطائف بقدمين داميتين سيحمل رسالةً تضيء العالم.

العبرة

وقع حزن رسول الله ﷺ الشخصيّ والعالمُ يضطرب. ويعلّمنا التاريخ أنّ القوّة الحقيقية لا تقاس بالإمبراطوريات والجيوش، بل بثبات الإيمان حين يبدو أنّ كلّ سندٍ دنيويّ قد زال.

أسئلة شائعة

فيما يلي أسئلةٌ يكثر طرحها عن المقاطعة وعام الحزن والرحلة إلى الطائف، مع أجوبةٍ موجزة مستندة إلى مصادر هذا الكتاب.

١. لماذا قوطع بنو هاشم الذين لم يُسلموا أيضًا؟

لأنّ المقاطعة كانت موجّهةً إلى القبيلة التي تحمي النبيّ، لا إلى الأفراد المسلمين وحدهم. ففي الحديث الصحيح أنّ قريشًا تحالفت على بني هاشم وبني المطّلب حتى يُسلموا إليهم رسول الله ﷺ (صحيح البخاري ١٥٩٠).

٢. كم دامت المقاطعة؟

بحسب كتب السيرة نحو ثلاث سنين — من المحرّم في السنة السابعة إلى السنة العاشرة من البعثة.

٣. هل كان أبو لهب معهم في الشِّعب؟

لا. فبحسب كتب السيرة كان أبو لهب الوحيد من بني هاشم الذي انحاز إلى قريش.

٤. أيّهما توفّي أوّلًا: أبو طالب أم خديجة؟

لم يحدّد ذلك الحديث الصحيح. والثابت أنّ خديجة توفّيت قبل الهجرة بثلاث سنين (صحيح البخاري ٣٨٩٦)، وأنّهما ماتا في عامٍ واحد بحسب كتب السيرة. واختلف أهل السيرة في الترتيب.

٥. لماذا سُمّي ذلك العام «عام الحزن»؟

لأنّه فقد فيه أكثر اثنين حمايةً له ونصرة: أبا طالب خارج البيت، وخديجة داخله. وهذا الاسم مشهور في كتب السيرة.

٦. هل يجوز الاستغفار لقريبٍ مات على الكفر؟

لا. فبعد أن قال النبيّ إنّه سيستغفر لأبي طالب، أنزل الله النهي عن الاستغفار للمشركين ولو كانوا أولي قربى (التوبة ٩: ١١٣؛ صحيح البخاري ٣٨٨٤). ولكن لنا أن نذكر معروفهم ونقدّره، كما ذكر النبيّ صنيع المطعم (صحيح البخاري ٣١٣٩).

٧. كم تبعد الطائف عن مكة، ومن رافق النبيّ؟

نحو ٦٣ كم خطًّا مستقيمًا، أو نحو ٨٧ كم بالطريق اليوم. وفي زمنه كانت الرحلة تستغرق يومين إلى ثلاثة أيّام مشيًا. وبحسب كتب السيرة رافقه زيد بن حارثة رضى الله عنه.

٨. ما صلة صنم اللات بالطائف؟

اللات صنم الطائف الأكبر الذي عبدته ثقيف، وقد ذُكر في النجم ٥٣: ١٩. وهُدم بعد إسلام ثقيف في السنة التاسعة للهجرة.

٩. أين قرن الثعالب؟

ذُكر هذا الموضع في الحديث الصحيح مكانًا استفاق فيه النبيّ بعد رجوعه من الطائف (صحيح البخاري ٣٢٣١). وبحسب ياقوت الحموي هو اسمٌ آخر لقرن المنازل، ميقات أهل نجد.

١٠. هل يُعمل بدعاء «اللهمّ إليك أشكو ضعف قوّتي...»؟

هذا الدعاء مشهورٌ جدًّا، لكنّ الألباني ضعّف إسناده (انظر باب «دعاء الطائف: تقييمٌ»). وللمرء أن يشكو إلى الله بكلماتٍ من عنده بمعنًى قريب، لكن لا ينسبها إلى رسول الله ﷺ على أنّها روايةٌ صحيحة.

١١. هل حادثة الجنّ في نخلة هي المذكورة في سورة الجنّ؟

في الحديث الصحيح أنّ الجنّ استمعوا قراءته بنخلة وهو يصلّي الفجر بأصحابه، فنزلت الجنّ ٧٢: ١ (صحيح البخاري ٧٧٣). وتربط كتب السيرة الأحقاف ٤٦: ٢٩–٣٠ بطريق العودة من الطائف. واختلف العلماء أهي حادثةٌ واحدة أم حوادث متعدّدة.

١٢. لماذا قبل النبيّ جوار المطعم ولم يكن قد أسلم؟

لأنّ نظام الجوار عرفٌ محترم عند العرب، وقبوله لا يمسّ العقيدة. وقد عاش أبو بكر في جوار ابن الدَّغِنة (صحيح البخاري ٣٩٠٥). والإسلام نفسه أبقى هذه القيمة الحسنة (التوبة ٩: ٦).

العبرة

كلّ جوابٍ يستند إلى مصدرٍ صحيح يقوّي اليقين ويبعدنا عن القصص التي لا أصل لها. وسيرة رسول الله ﷺ في سنوات الحزن هذه ليست تاريخًا فحسب، بل هدايةٌ لكلّ مسلمٍ يُبتلى بالفقد والرفض.

الدروس والخاتمة

دروسٌ من هذا الكتاب

أوّلًا: لا ظلم يدوم. انهارت المقاطعة التي تُقوسم عليها في خَيف بني كنانة (صحيح البخاري ١٥٩٠).

ثانيًا: اعرف قدر أصحاب الضمائر. خمسةٌ من قريش نقضوا الصحيفة؛ وذُكر للمطعم معروفه (صحيح البخاري ٣١٣٩).

ثالثًا: كلمة التوحيد هي المفتاح. لم يطلب رسول الله ﷺ من أبي طالب إلّا كلمةً واحدة (صحيح البخاري ٣٨٨٤).

رابعًا: الهداية بيد الله. علينا البلاغ والدعاء (٢٨: ٥٦).

خامسًا: الوفاء للزوج. ظلّ يذكر خديجة طوال حياته (صحيح البخاري ٣٨١٨).

سادسًا: لا تتوقّف حين تُسدّ الطرق. طلب النصرة في الطائف بعد أن أُغلقت مكة.

سابعًا: الرحمة تغلب الانتقام. «أرجو أن يُخرج الله من أصلابهم...» (صحيح البخاري ٣٢٣١).

ثامنًا: نجاح الدعوة لا يُقاس بقلّةٍ من الناس. استمع الجنّ حين أعرض البشر (٤٦: ٢٩-٣٠).

تاسعًا: مع العسر يسر. وعدٌ تكرّر مرّتين (٩٤: ٥-٦).

خلاصة الخطّ الزمني

الزمن (تقديرًا)	الحدث ومصدره
المحرّم، السنة ٧ (نحو ٦١٧م)	ميثاق المقاطعة (صحيح البخاري ١٥٩٠؛ كتب السيرة)
٦١٧–٦١٩م	حصار بني هاشم في شِعب أبي طالب (كتب السيرة)
السنة ١٠ (نحو ٦١٩م)	خمسةٌ من قريش ينقضون الصحيفة (كتب السيرة)
٦١٩م	وفاة خديجة (صحيح البخاري ٣٨٩٦) وأبي طالب (صحيح البخاري ٣٨٨٤)
بعد خديجة	الزواج من سودة بنت زمعة (كتب السيرة)
٦١٩م	الرحلة إلى الطائف (صحيح البخاري ٣٢٣١)
بعد العودة من الطائف	الجنّ في نخلة (٤٦: ٢٩؛ كتب السيرة)
بعد العودة من الطائف	جوار المطعم بن عديّ (كتب السيرة)

خاتمة

من شِعب أبي طالب المحاصَر، إلى البيت الذي فقد خديجة، إلى جوار أبي طالب في ساعته الأخيرة، حتى الطريق الصخريّ من الطائف — قطع رسول الله ﷺ أشدّ السنوات بـ**الصبر والرحمة**. وإن شاء الله نتواصل سلسلة **السِّيرَةُ النَّبَوِيَّةُ** بـ**حادثة الإسراء والمعراج**، ولقاء أهل يثرب، و**بيعة العقبة** — اليسر الذي أعدّه الله بعد هذا العسر. والله أعلم.

المراجع

القرآن الكريم والتفسير

القرآن الكريم، بالرسم العثماني. https://quran.com/ms

ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (٢٨: ٥٦؛ ٩: ١١٣؛ ٤٦: ٢٩–٣٠؛ ٩٤: ٥–٦). https://tafsir.app/ibn-katheer/28/56

الحديث الشريف

صحيح البخاري ٧٧٣، ١٣٠٣، ١٣٥٦، ١٥٩٠، ١٧٦٥، ٣١٣٩، ٣٢٣١، ٣٤٣٢، ٣٤٧٧، ٣٨١٨، ٣٨٢٠، ٣٨٨٣، ٣٨٨٤، ٣٨٩٦، ٣٩٠٥، ٦٣٤٦. https://sunnah.com/bukhari

صحيح مسلم ٢١٢، ١٤٦٣. https://sunnah.com/muslim

كتب السيرة والتاريخ

ابن هشام، السيرة النبوية (رواية عن ابن إسحاق) — أبواب المقاطعة، ووفاة أبي طالب وخديجة، والرحلة إلى الطائف.

صفيّ الرحمن المباركفوري، الرحيق المختوم — أبواب المقاطعة وعام الحزن والطائف.

ويكيبيديا، «Muhammad’s visit to Ta’if».
https://en.wikipedia.org/wiki/Muhammad%27s_visit_to_Ta%27if

ويكيبيديا، «Year of Sorrow». https://en.wikipedia.org/wiki/Year_of_Sorrow

ويكيبيديا، «Khadija bint Khuwaylid». https://en.wikipedia.org/wiki/Khadija_bint_Khuwaylid

ويكيبيديا، «Abu Talib ibn Abd al-Muttalib». https://en.wikipedia.org/wiki/Abu_Talib_ibn_Abd_al-Muttalib

ويكيبيديا، «Hakim ibn Hizam». https://en.wikipedia.org/wiki/Hakim_ibn_Hizam

ويكيبيديا، «Sawda bint Zamʿa». https://en.wikipedia.org/wiki/Sawda_bint_Zam'a

© ٢٠٢٦ م / ١٤٤٨ هـ جميع الحقوق محفوظة — Hj Che Alim Hj Che Haron — مجاني للمسلمين

ويكيبيديا، «Muṭʿim ibn ʿAdi».
https://en.wikipedia.org/wiki/Mu%E1%B9%AD%CA%BDim_ibn_%CA%BDAdi
ويكيبيديا، «Taif». https://en.wikipedia.org/wiki/Taif

الأماكن والتاريخ والنقوش

WikiShia، «Shiʻb Abi Talib». https://en.wikishia.net/view/Shi'b_Abi_Talib
سعوديبيديا، «Qarn al-Manazil». https://saudipedia.com/en/article/3143/history/landmarks-and-monuments/qarn-al-manazil
Medieval Middle East، «al-Qarn» (ياقوت الحموي، معجم البلدان).
https://medievalmideast.org/place/11719
Madain Project، «Jannat ul-Muʻalla». https://madainproject.com/jannat_ul_mualla
سعوديبيديا، «نقوش سدّ معاوية بن أبي سفيان».
https://saudipedia.com/%D9%86%D9%82%D9%88%D8%B4-%D8%B3%D8%AF-%D9%85%D8%B9%D8%A7%D9%88%D9%8A%D8%A9-%D8%A8%D9%86-%D8%A3%D8%A8%D9%8A-%D8%B3%D9%81%D9%8A%D8%A7%D9%86
Islamic Awareness، «Inscription On The Dam Built By Caliph Muʻawiya, ٥٨ AH / ٦٧٨ CE». https://www.islamic-awareness.org/history/islam/inscriptions/muwinsc1.html
ويكيبيديا، «Byzantine–Sasanian War of ٦٠٢–٦٢٨».
https://en.wikipedia.org/wiki/Byzantine%E2%80%93Sasanian_War_of_602%E2%80%93628
ويكيبيديا، «Tang dynasty». https://en.wikipedia.org/wiki/Tang_dynasty
ويكيبيديا، «Sasanian conquest of Egypt».
https://en.wikipedia.org/wiki/Sasanian_conquest_of_Egypt

الدعم والتبرّع

يُنشر هذا الكتاب **مجّانًا بالكامل** للأمّة الإسلامية، **ولا يجوز بيعه أبدًا.** والتبرّعات مرحّبٌ بها للمساعدة في تكاليف البحث، واستضافة الموقع quranscience.my، ونشر مزيدٍ من الكتب — لكنّها **ليست واجبة.** نسأل الله أن يتقبّل كلّ تبرّعٍ صدقةً جارية.

سورة البقرة (٢): ٢٦١

مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ٢٦١

المصدر: quran.com/2:261

سورة سبأ (٣٤): ٣٩

قُلۡ إِنَّ رَبِّي يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ وَيَقۡدِرُ لَهُۥۚ وَمَآ أَنفَقۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَهُوَ يُخۡلِفُهُۥۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ٣٩

المصدر: quran.com/34:39

حديث — صحيح مسلم، رقم ٢٥٨٨

حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ أَيُّوبَ، وَقُتَيْبَةُ، وَابْنُ، حُجْرٍ قَالُوا حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ، - وَهُوَ ابْنُ جَعْفَرٍ - عَنِ الْعَلاَءِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ « مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ وَمَا زَادَ اللَّهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلاَّ عِزًّا وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلاَّ رَفَعَهُ اللَّهُ ».

السند: رواه الإمام مسلم: عن يحيى بن أيّوب، وقتيبة بن سعيد وعلي بن حُجر، عن إسماعيل بن جعفر، عن العلاء بن عبد الرحمن، عن أبيه عبد الرحمن بن يعقوب، عن أبي هريرة رضى الله عنه .

التخريج: رواه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب البرّ والصلة والآداب، باب استحباب العفو والتواضع، حديث رقم ٢٥٨٨.

الدرجة: صحيح – أخرجه مسلم في صحيحه.

المصدر: https://sunnah.com/muslim:2588

حديث – صحيح مسلم، رقم ١٦٣١

حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ أَيُّوبَ، وَقُتَيْبَةُ، - يَعْنِي ابْنَ سَعِيدٍ - وَابْنُ حُجْرٍ قَالُوا حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ، - هُوَ ابْنُ جَعْفَرٍ - عَنِ الْعَلاَءِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ « إِذَا مَاتَ الإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلاَّ مِنْ ثَلاَثَةٍ إِلاَّ مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ ».

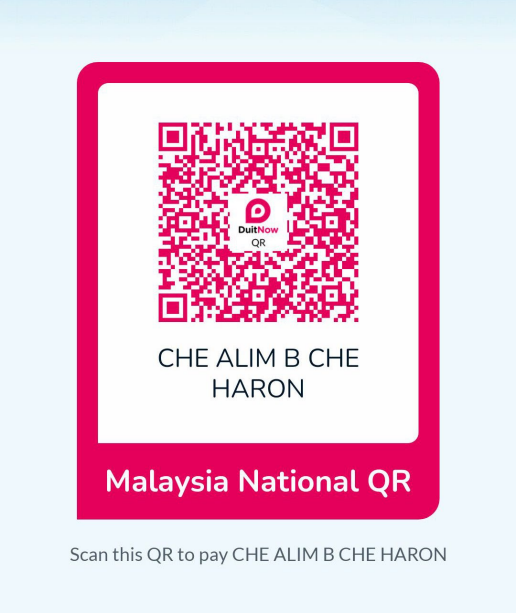
السند: رواه الإمام مسلم: عن يحيى بن أيّوب، وقتيبة بن سعيد وعلي بن حُجر، عن إسماعيل بن جعفر، عن العلاء بن عبد الرحمن، عن أبيه عبد الرحمن بن يعقوب، عن أبي هريرة رضى الله عنه .

التخريج: رواه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب الوصيّة، باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته، حديث رقم ١٦٣١.

الدرجة: صحيح – أخرجه مسلم في صحيحه.

المصدر: https://sunnah.com/muslim:1631

جزاكم الله خيرًا كثيرًا



امسح رمز QR أعلاه (DuitNow، ماليزيا) للتبرّع.

تبرع

للمتبرّعين من خارج ماليزيا: انقر زرّ «تبرّع» أو زُر paypal.me/quranscience